مختصر خطبة صلاة الجمعة 17/2/2023 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(من آيات الله في الزلزال)

تساوى الناس في هذه الزلزلة التي ضربت الأرض بفقرهم وخوفهم وحاجتهم لرب العالمين، فخلال ثوان معدودات بدلت الأرض غير الأرض، تهدم البناء واختفى الضياء وصار الناس بين شهيد وفقيد وشريد في العراء، البيوت الفارهة صارت خرابا، والمراكب الفخمة صارت يبابا، والمزارع الممتدة صارت سرابا، والناس بين مرعوب وباكي، وصارخٍ وشاكي، وكلهم ضارع إلى الله! إنها آية من آيات الله في الزلزال ترينا شيئاً من قوة الله وعظمته وكثيراً من فقرنا وفاقتنا ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: 53] والمتوقع من العبد أن يبقى على باب ربه ملتزماً أمره منتهياً عن نهيه وليحذر أن يصيبه قول الله: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 54].

رأينا في هذه الزلزلة تكاتف أبناء هذا البلد واجتماعَهم على معونة بعضهم ومواساة بعضهم على ما هم فيه جميعاً من اللأواء والضراء، فقوافل الخير تنطلق إلى المتضررين وفيها أنفس ما يملكه أولئك الرجال والنساء، ويقولون إنها ليست مساعدة ولكنها فزعة الأخ لأخيه، وأطفالٌ يُخرجون النقود من حصالاتهم ونساءٌ يبذلن من حليهن وبنات جمعن قطعاً نفيسة من ثيابهن وشباب يتراكضون للسفر لمعونة أهلهم المتضررين، إن هذا التعاون والتكاتف لمما يرضي ربنا ويَسرُّ قلب نبينا ﷺ، ويلملم جراحنا ويخفف وطأة الرجفة على إخواننا، إنها آية من آيات ربنا أن يبلو بعضنا ببعض، أخرج البخاري عن رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ**».

في الأخبار المتعاقبة للزلزال سمعنا ورأينا شيئاً من آيات الله العجيبة، فهذه طفلة تنجو من تحت الأنقاض بعد خمسة أيام ولا طعامَ ولا شراب، وذلك شيخ بعد عشرة، وتلك مسنة بعد أحد عشر يوماً، وتلك حامل تلد منفردة فينجو وليدها وتُسْلِم روحَها لباريها، ولو سألت أطباء الدنيا عن المسألة وإمكانها لحاروا جميعاً ولكن الله على كل شيء قدير، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر: 62-63].

نقلت وسائل التواصل ومحطات الأخبار لقاء طفلة بإحدى المشافي سقط سقف منزلهم عليهم فمات الأب والأخ مباشرة وبقيت البنت الصغيرة تحت الركام يومين تقول إنه جاء من يسقيها لبناً وماء بارداً خلال هذين اليومين إلى أن أخرجت إلى المشفى.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه في قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه حديثاً طويلاً فيه: جاء رسول الله ﷺ فقلت: السلام عليك يا رسول الله فقال: «**وعليك ورحمة الله**» ثم قال «**من أنت؟**» قال قلت: من غفار، ... قال: «**متى كنت هاهنا؟**» قال قلت: قد كنت هاهنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم، قال: «**فمن كان يطعمك؟**» قال قلت: ما كان لي طعام إلا ماءُ زمزم فسمنت حتى تكسرت عُكَن بطني، وما أجد على كبدي سُخْفَة جوع، قال: «**إنها مباركة، إنها طعام طعم**».

إن الذي يرويك بالماء ويغذيك بالطعام ويغنيك بالمال قادر على أن يرويك ويغذيك ويغنيك من دونها، فما عليك إلا أن تثق به وتلتزم أمره ونهيه.

في قصص الزلزال طفل بالمشفى يكاد يكون بغيبوبة يذكر الله ويوصي بكثرة الصلاة على رسول الله. وامرأة من تحت الأنقاض تطلب من المنقذين أن يأتوها بغطاء لتستر شعرها قبل أن تخرج، وفتاة تبكي لأنها فاتتها الصلوات أياماً وهي تحت الأنقاض، ومسن

يطلب من المنقذ قليلاً من الماء ليتوضأ ويؤدي الصلاة بينما يصار إلى إخراجه! إن هؤلاء من القوم الذي يشرون مرضاة الله بأرواحهم وأنفسهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: 207].

والحمد لله رب العالمين